الهلال

أغسطس ٢٠٠٠ ● الثمن جنيهان

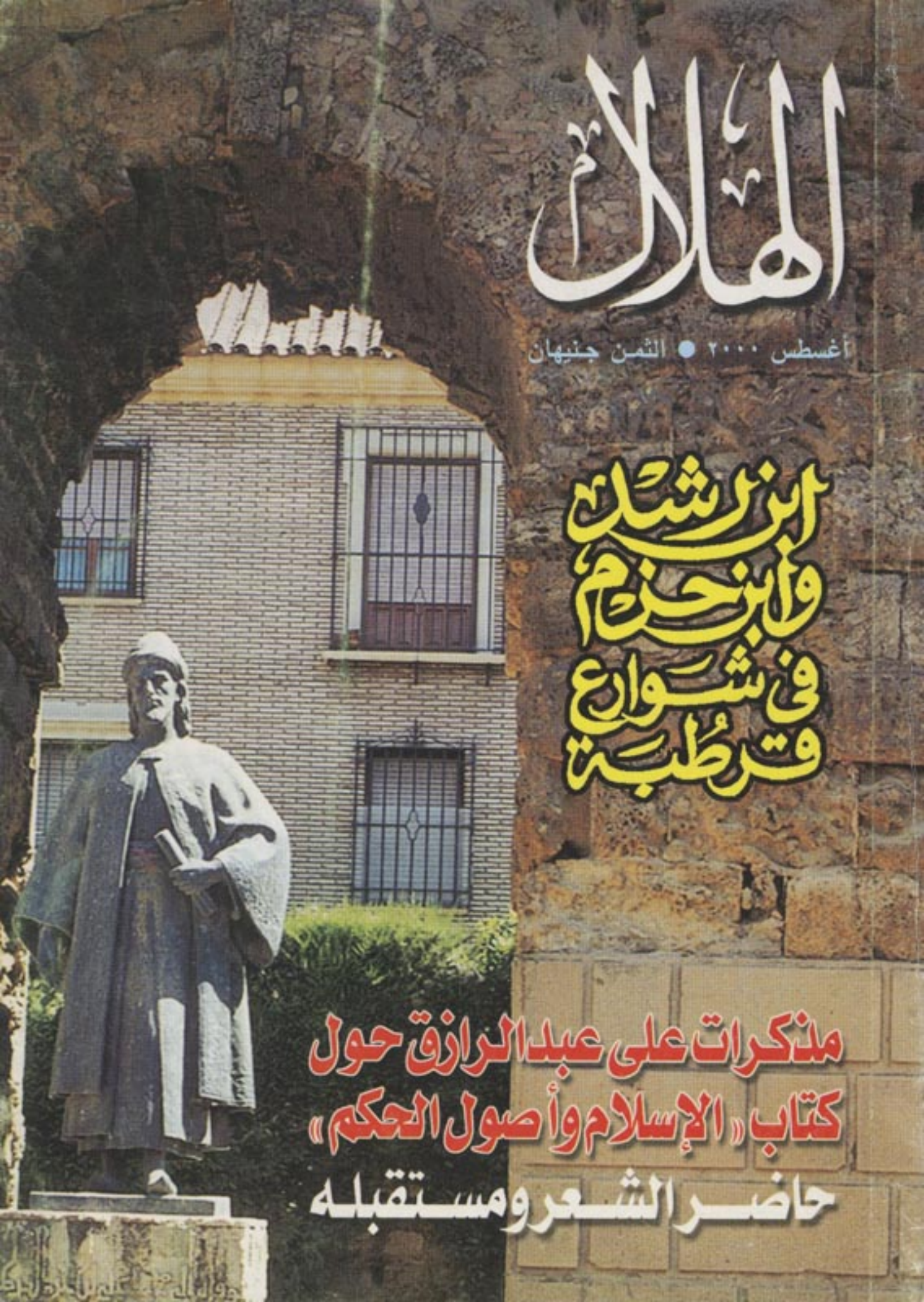

ابن رشد وابن حزم في شوارع قرطبة

مذكرات على عبد الرازق حول كتاب «الإسلام وأصول الحكم»

حاضر الشعر ومستقبله

هـــذا
العـــدد

تصميم الغلاف
الفنان
محمد أبو طالب

فكر وثقافة

● الاسلام وأصول الحكم ومذكرات الشيخ على عبدالرازق ..... ممدوح عبد الرازق ٨
● محنة اليسار المصرى ..... عبد الرحمن شاكر ١٤
● **شرق وغرب**
– المرأة فى مؤتمر نيويورك ..... د. محمد رجب البيومى ٢٤
– الاسلام وصياغة النموذج الثقافى ..... د. محمد عمارة ٣٢
● فى ذكراه الأولى.. شكرى عياد والتحرر من السياسة ..... د. عاصم الدسوقى ٤٠
● إن كنت فى عجلة من أمرك فعليك بسمسار! ..... حسن سليمان ٧٦
● المكان فى الرواية والقصة . الهدار وليالى الصيف الجميلة ..... ابو المعاطى ابو النجا ٨٢
● كوبرى ابو العلا وهل بناه ايفيل – مشروع الحفاظ على ذاكرة مصر الهندسية ..... د. فتحى صالح ٨٨
● قرطبة وحلم الأندلس ..... محمود أحمد ٩٨
● بيوت الأدباء . ظاهرة ثقافية بين الواقع والحقيقة – ..... محمود قاسم ١٢٨
● تنويعات من أوراقى القديمة ..... صافى ناز كاظم ١٦٦
● عرض كتاب الطرق الصوفية وأثرها فى السودان ..... د . صلاح عبد اللطيف ١٧٦
● تاريخ ما أهمله التاريخ ..... وديع فلسطين ١٨٢

حاضر الشعر ومستقبله

– حاضر الشعر ومستقبله فى مصر ..... د. الطاهر أحمد مكى ٤٨
– أرملة (شعر) ..... عزت الطيرى ٥٥
– من هو خليفة شوقى أمير شعراء العصر الحالى؟..... د. أحمد درويش ٥٦

كوبرى أبو العلا
وهل بناه إيفيل ؟!

مشروع الحفاظ على ذاكرة مصر الهندسية

بقلم : د. فتحى صالح

مدير المركز القومى لتوثيق التراث الحضارى والطبيعى

فى مغامرة لامثيل لها في البحث عن أصل كوبرى أبوالعلا والوصول إلى حقيقة من الذى قام بتصميمه وبنائه، وما إذا كانت هناك علاقة بالمهندس جوستاف إيفيل الذى بنى برج إيفيل، يتوصل كاتب هذا المقال بالاشتراك مع آخرين إلى العثور على كنز هندسى بدار الارشيفات الهندسية بمدينة ليون بفرنسا به حوالى ٦٠٠ لوحة هندسية أصلية لستة كبارى بمصر أنشئت فى أوائل القرن منها كوبرى أبوالعلا ويجيب هذا الاكتشاف بشكل قاطع على كل هذه التساؤلات.

كوبرى أبو العلا يوم افتتاحه

البحث عن كوبرى أبوالعلا (الحقيقة والخيال) :

منذ كنت طالبا فى الستينات أعد رسالة الدكتوراه فى باريس وأنا شغوف باستكشاف المعالم المختلفة بباريس، وكان أحد هذه المعالم التى تعتبر رمزا لباريس هو هذا البرج العالى الذى بناه المهندس الفرنسى المشهور جوستاف إيفيل فى أواخر القرن الماضى، وذلك بمناسبة احتفالات مرور مائة سنة على الثورة الفرنسية وكذلك بمناسبة المعرض الدولى المقام بباريس فى حدائق مارس أمام المدرسة الحربية، وعند زيارة هذا البرج من أى مواطن مصرى فإنه يتبادر إلى ذهنه علاقة هذا البرج بكوبرى أبوالعلا فى مصر والأسطورة التى تقول: إن الذى بنى أو صمم هذا الكوبرى هو المهندس إيفيل وأنه عندما فشل فى فتح الكوبرى أقدم على الانتحار، ولكن أول ما يسترعى النظر عند زيارة برج إيفيل بباريس هو وجود هذا التمثال النصفى للمهندس إيفيل بجوار البرج، وكعادة الفرنسيين عندما يضعون تمثالا كهذا يضعون تحته بعض المعلومات والتى تفصح فى هذه الحالة عن اسم صاحب التمثال وتاريخ ميلاده وتاريخ ووفاته، ويا للمفاجأة بالنسبة لى عندما شاهدت هذا التمثال، تقول المعلومات المصاحبة له : إن إيفيل ولد عام ١٨٣٢ وتوفى عام ١٩٢٣ أى أنه عاش ٩١ عاما، السؤال الذى تبادر فى ذهنى فى ذلك الوقت هل يمكن لمهندس عمره ٩١ عاما أن تطلب منه دولة أن يقوم بتصميم كوبرى وأن يفشل وأن ينتحر؟؟ علما بأن هذا الكوبرى تم إنشاؤه فى الفترة من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٣ .

وظل هذا السؤال فى ذهنى منذ ذلك الوقت إلى أن عدت إلى باريس بعد ثلاثين عاما فى التسعينات كمستشار ثقافى وجاءت الفرصة عندما اتصل بى صديقى المهندس إبراهيم محلب نائب رئيس مجلس إدارة شركة المقاولون العرب والتى كلفت بإنشاء كوبرى جديد ليحل محل كوبرى أبوالعلا وكذلك القيام بفك كوبرى أبوالعلا، وصارت تساؤلات كثيرة مرة ثانية.

ـ هل هذا الكوبرى بناه حقا جوستاف إيفيل؟.

ـ هل هذا الكوبرى له قيمة تاريخية خاصة؟.

إتصل المهندس إبراهيم محلب ليطلب منى مساعدتهم فى الرد على هذا التساؤل ومن هنا بدأت القصة.

قصة ثلاث مدن (باريس ـ ليل ـ ليون) :

عندما اتصل بى المهندس إبراهيم محلب نائب رئيس مجلس إدارة شركة المقاولون العرب وكان ذلك فى شهر أكتوبر ١٩٩٦ لمساعدتهم فى الرد على هذه التساؤلات بخصوص كوبرى أبوالعلا طلبت منه أن يمدنى بأية معلومات أو خيوط أبدأ منها البحث فى هذا المجال، فأفادنى بأنه أثناء تفتيش أعمدة الكوبرى

المذكور، وجد على أحد الأعمدة علامة مكتوب عليها «فيف ليل ـ Fives - Lille» وكان أول احتمال تعطيه هذه الكلمة أنها ربما لها علاقة بمدينة «ليل Lille» التى تقع فى شمال باريس بحوالى ٢٠٠ كيلومتر وهى منطقة صناعية اشتهرت فى أوائل القرن الحالى بصناعة المنشآت المعدنية وخاصة الحديدية، ولما كنت على اتصال بالسيدة دمينيك فالبيل Dominiquee Valbelle أستاذة المصريات فى جامعة (ليل ـ ٣) فقد انتهزت فرصة دعوتى لحضور معرض ومؤتمر عن حفريات شمال سيناء بجامعتها لأطلب منها مساعدتى فى موضوع كوبرى أبوالعلا فكلفت مساعدتها السيدة/ بريجيت جراتيان Bregitte GRATIEN بإجراء الاتصالات اللازمة فى هذا الموضوع فقامت السيدة بريجيت بإجراء لبعض الاتصالات لتصل إلى الشخص المسئول عن مثل هذه المعلومات وهى مدام Debove وأنها عندها معلومات عن بيانات كوبرى أبوالعلا المنشود وقامت بتوجيه خطاب لى بهذا المعنى بتاريخ ٢٥ نوفمبر ٩٦ والذى يفيد بالتالى:

ـ أن هناك شركة كانت قائمة فى هذه المنطقة فى أوائل القرن باسم فيف ليل Fives - Lille

ـ أن هذه الشركة انتهت أعمالها منذ وقت وتم تصفيتها لتصبح جزءا من شركة أخرى تحت اسم - Fives - Cail Babcock فيف ـ كاى ـ بابكوك.

ـ أن الأرشيفات الهندسية للشركة التى تم تصفيتها آلت إلى أرشيفين، عامين الأول ـ (Centre d,Archives du Monde de Travail CRoubaix) مركز أرشيفات أماكن العمل بروبية.

والثانى ـ Archives departementales du Rhone - Lyon الأرشيف المحلى لمنطقة الرون/ ليون.

وروبية هذه مدينة قريبة من «ليل» بينما ليون Lyon مدينة فى الجنوب الشرقى من باريس على بعد حوالى ٥٠٠ كيلومتر.

إن الأرشيف يحتوى ليس فقط على لوحات كوبرى أبوالعلا وإنما على كبارى أخرى بالقاهرة.

فقمنا بمراسلة السيدة Debove والتى ردت علينا بخطاب ومرفق معه بعض المستندات والتى مؤداها:

ـ أن هناك دراسة تمت حديثا فى عام ١٩٨٩ قامت بها الآنسة Catherine LONGET وذلك كجزء من تدريبها على تصنيف الأرشيفات الهندسية وأرفقت جزءا من الدراسة والتى تخص كبارى القاهرة والتى تبين منها أن الأرشيف يحتوى على رسومات الهندسية الخاصة بكل من:

ـ كوبرى أبوالعلا.

ـ كوبرى الزمالك (امتداد أبوالعلا).

ـ مشروع كوبرى قصرالنيل.

ـ مشروع كوبرى الجلاء (الكوبرى

الأعمى) Pont prov BAHR AAMA.

ـ تعلية كوبرى السكة الحديد بإمبابة EMBABEH.

ـ كوبرى المنصورة.

بناء على هذه المعلومات، قمنا بمراسلة الهيئتين المذكورتين فكان الرد من الهيئة الأولى بأنه ما يوجد عندهم هو سجلات فقط للرسومات الهندسية لهذه الكبارى وأرسلوا لنا صورة ضوئية لهذه السجلات وكان رد الهيئة الثانية بمدينة ليون بأن عندهم الرسومات الهندسية الأصلية وإنه يمكن الإطلاع عليها طرفهم.

الزيارة: (الكنز المفقود):

مدينة ليون تعتبر إحدى المدن الكبرى فى فرنسا بعد باريس وهى تعتبر عاصمة المنطقة الشرقية، وتوجد فيها جامعة عريقة وهى جامعة ليون وبها قسم مشهور للدراسات الشرقية والإسلامية وكذلك بها قسم لعلوم المصريات يرأسه العالم الأثرى الكبير جويون GOYON، وتصادف أن دعانى البروفيسور جويون لحضور مناقشة رسالة عنده بالجامعة فالتقيت به وبإحدى الدارسات المصريات المتوعدات فى علم الآثار، وتدعى جيهان زكى وهى تقوم بإعداد رسالة الدكتوراه تحت إشرافه وإشراف الأستاذ الأثرى العظيم الدكتور/ جمال مختار وهى أم لطفلتين وتقوم بمساعدة كل زملائها من الدارسين المصريين بمدينة ليون فى حل مشكلاتهم نظرا لتمكنها من اللغة الفرنسية واتصالاتها العديدة، استأذنت السيدة جيهان للحضور معى للأرشيف المحلى لمدينة ليون نظرا لمعرفتها للطرق بمدينة ليون ولعلاقتها بالأشخاص هناك، وذهبنا إلى مبنى الأرشيف معا وهو يقع فى حوارى ضيقة فى منطقة جبلية فى ضواحى ليون تكاد تمر بها السيارة بصعوبة كبيرة، ووصلنا إلي الأرشيف وطلبنا من المسئولين الإطلاع على الأرشيف الخاص بشركة Fives - Lille والخاص بكبارى القاهرة فأعطونا اهتماما خاصا وقاموا بتجهيز صالة بمنضدة كبيرة وضعوا عليها الألبومات التى تحتوى الرسومات الهندسية، ولا يستطيع أحد أن يصف شعورنا عندما وجدنا هذا الكنز الكبير ـ مئات من اللوحات الهندسية فى حجم يتراوح بين (٥٠ سم × ٧٠ سم) حتى (١,٠٠م × ١,٥٠م) داخل ألبومات قديمة مربوطة بشرائط من ثلاثة جوانب، وتقول جيهان: إن إحساسها وهى تقوم بفك هذه الشرائط يشبه جدا إحساسها وهى تتعامل مع أربطة المومياات، نفس الإحساس الأثرى، بدأنا نطلع على الرسومات، إنها حقا مقبرة توت عنخ آمون الهندسية، لوحات عليها كلها ختم شركة Fives - Lille وموقع عليها من المسئولين بمصر فى هذا الوقت، وكل لوحة مؤرخة بتاريخ رسمها وهى تقع كلها فى العقدين الأولين من القرن العشرين، والرسومات غاية من الدقة وغاية من

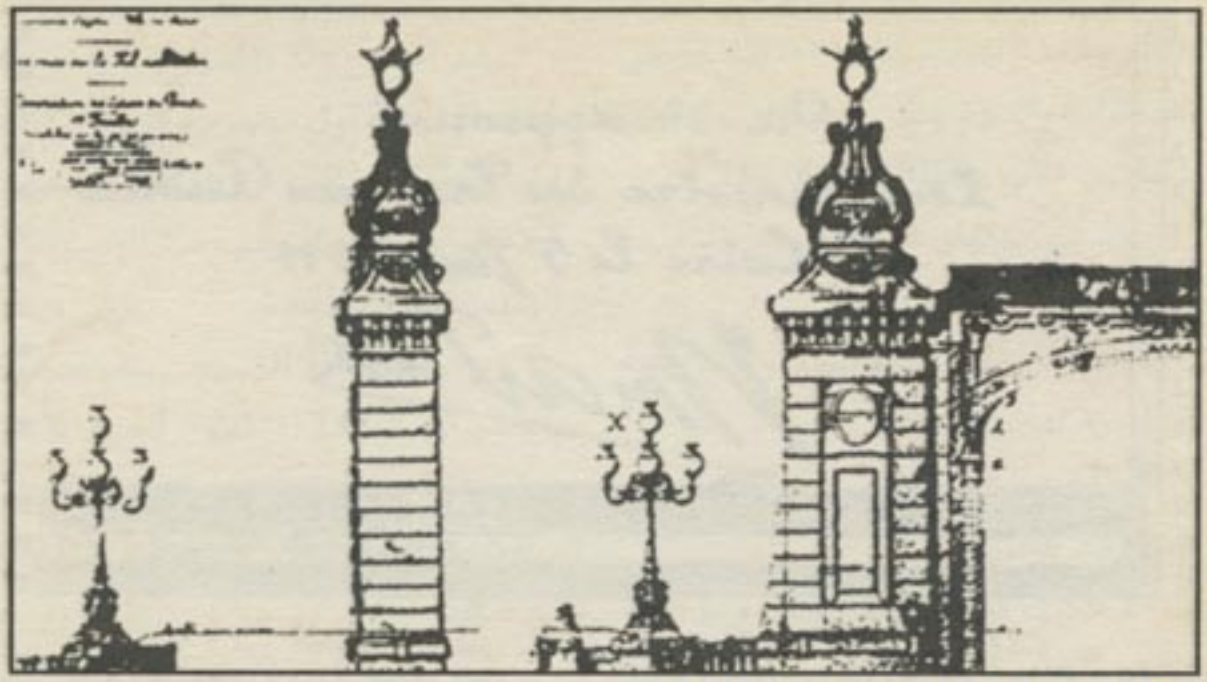

تفاصيل لأعمدة مدخل كوبرى أبو العلا

التفصيل، منها حوالى ٣٠٠ لوحة لكوبرى أبوالعلا وحده.

وقد نتج من فحص هذه اللوحات مفاجآت عديدة، فالمفاجأة الأولى أن الذى صمم كوبرى أبوالعلا هى شركة «فيف ليل» وليس المهندس جوستاف ايفيل ولكن أكثر من ذلك وهو أن الجزء المتحرك من هذا الكوبرى والذى تدور الشائعات بأن المهندس إيفيل عندما فشل فى إدارته أقدم على الانتحار فإن هذه الشائعات غير صحيحة حيث أنه ثبت من خلال فحص اللوحات المذكورة أن شركة فيف ليل لم تقم بتصميم هذا الجزء، وإنما أوكلت التصميم إلى شركة أخرى وهى شركة «شيرزر» الأمريكية ومقرها مدينة شيكاغو.

كما كانت المفاجأة الثالثة أن العديد من هذه اللوحات يحمل إمضاءات من الجانب المصرى لشخصيات مصرية مرموقة على رأسها إسماعيل باشا سرى الذى ظهر إمضاءه على لوحات كوبرى الزمالك وكذلك توقيعات رئيس هيئة الطرق والكبارى على لوحات كوبرى إمبابة.

وبعد قضاء حوالى ثلاث ساعات مع هذا الكنز قمنا بتسجيل ملاحظاتنا العامة على هذا الكنز الهندسى.

وعدت إلى باريس لأقوم بالاتصال بصديقى المهندس إبراهيم محلب لإخباره بما وجدناه والذى قام بدوره بالاتصال بالمهندس إسماعيل عثمان رئيس مجلس إدارة الشركة لإخباره بالنتائج والذى بدون تردد طلب منا الحصول على هذا

صورة من إمضاء اسماعيل باشا سرى وزير الأشغال فى ذلك الوقت

الكنز أو هذه الذاكرة الهندسية لمصر بأى ثمن.

فعاودنا الاتصال بالأرشيف المحلى بمدينة ليون لدراسة إمكانية تصوير هذا الأرشيف، ولكن الأرشيف اعتذر عن تنفيذ هذه الرغبة نظرا لأن اللوحات فى حالة واهية وأن حجمها أكبر بكثير من أن تستعمل بماكينات التصوير الفوتوكوبى، ولكنهم اقترحوا علينا بدلا من ذلك اسم شركتين عندهم إمكانيات تصويرية خاصة يمكن استخدامها فى تصوير مثل هذه المستندات الهندسية.

عصر ـ التكنولوجيا:

وقد قمت بالاتصال بهاتين الشركتين وقمنا بمباحثات فنية معهم وهى شركات تستعمل وسائل تصوير فوتوغرافية خاصة يمكن عن طريقها تصوير الخرائط الكبيرة بأجهزة تصوير دقيقة خاصة على نيجاتيف كبير فى حجم الفولسكاب بحيث يحافظ على دقة المعلومات كما يمكن أيضا ترميم اللوح فوتوغرافيا بإزالة التغييرات التى طرأت عليها نتيجة الأتربة والتهالك مع الوقت.

وقد طلبنا من الشركات عمل عينات من الصور للإطلاع على النتائج وبعد بحث هذه النتائج تبين أن إحدى هاتين الشركتين تفوق تكنولوجيا على الأخرى.

وبعد مباحثات مالية وفنية مع الشركة المتفوقة تم الاتفاق على أن يتم التصوير والطبع على ورق رسم بالحجم الطبيعى وكذلك على ورق كالك (بوليستر) وكذلك على ميكروفيش مفهرس وكذلك على اسطوانة ضوئية CD- ROM وهذه الأخيرة تعنى أن توضع جميع هذه

الرسومات الهندسية (٦٢٥ لوحة) على اسطوانة واحدة يمكن مشاهدتها على الحاسب الآلى والطباعة منها أيضا.

وسبب اختيار هذه الأوسطة المتعددة هو الآتى:

ورق الرسم العادى يسمح بالرؤية المباشرة لهذه اللوحات.

ولكن عمرها الافتراضى قصير (عشرات السنين).

ـ الكالك (بوليستر) يسمح بإعادة الطبع بالحجم الطبيعى على ورق مرة ثانية وعمرها الافتراضى أطول من الورق العادى بكثير.

ـ الميكروفيش يسمح بتخزين كل هذا الأرشيف فى حيز ضيق جدا ولكن ميزته الكبرى هى العمر الافتراضى الطويل جدا (حوالى مائة سنة).

وأما الأسطوانة الضوئية - CD ROM فهى أحدث الوسائل والتى تسمح بالتعامل بسهولة ويسر مع كل اللوحات فى آن واحد باستخدام الحاسب الآلى وهى تعتبر معجزة العقد الأخير من القرن العشرين، ولكن هناك تساؤلا عن عمر هذا الوسيط حيث أن قراءته غير مباشرة وإنما عن طريق جهاز الحاسب الآلى وأجهزة الحاسب الآلى تتغير مواصفاتها بسرعة كبيرة (فمثلا الأقراص المغناطيسية قطر ٥ بوصات التى كانت تستعمل منذ عشر سنوات اختفت الآن).

وقد أصبح هذا المشروع بتوصيفه بهذه الطريقة أول مشروع من نوعه فى فرنسا يستخدم كل هذه الوسائل لتسجيل أرشيف من هذه النوعية من الرسومات الهندسية وبهذا الحجم.

وبناء على هذا التوصيف قمنا بالاتصال بشركة المقاولون العرب لأخذ موافقتها على تنفيذ المشروع بالتكاليف وبالطريقة المقترحة والتى لم تتردد لحظة فى قبولها:

وفى تاريخ ١٢ أغسطس ١٩٩٧ تم إعطاء الأمر لشركة سيجريم لتنفيذ العمل بالصورة المطلوبة على أن يتم تسليمه فى خلال شهرين، والتى قامت بالفعل بتنفيذ العمل المطلوب على أكمل وجه.

دور الإعلام فى هذا المشروع:

وقد كان للدور الذى لعبه الدكتور أحمد يوسف الصحفى بمكتب الأهرام بباريس كبير العون فى تشجيع هذا المشروع والتعريف به أثناء فترة تنفيذه فقد قام بنشر خبر عنه فى الصفحة الأخيرة من الأهرام بتاريخ ٩٧/٨/٣، وكان لهذا النشر الجيد أن لفت نظر الكاتب الصحفى الكبير أنيس منصور الذى كان بباريس فطلب مقابلتى وعندما قابلته وسردت له القصة وعرضت عليه بعض العينات من الرسومات الهندسية لهذا الأرشيف قام بنشر الموضوع فى

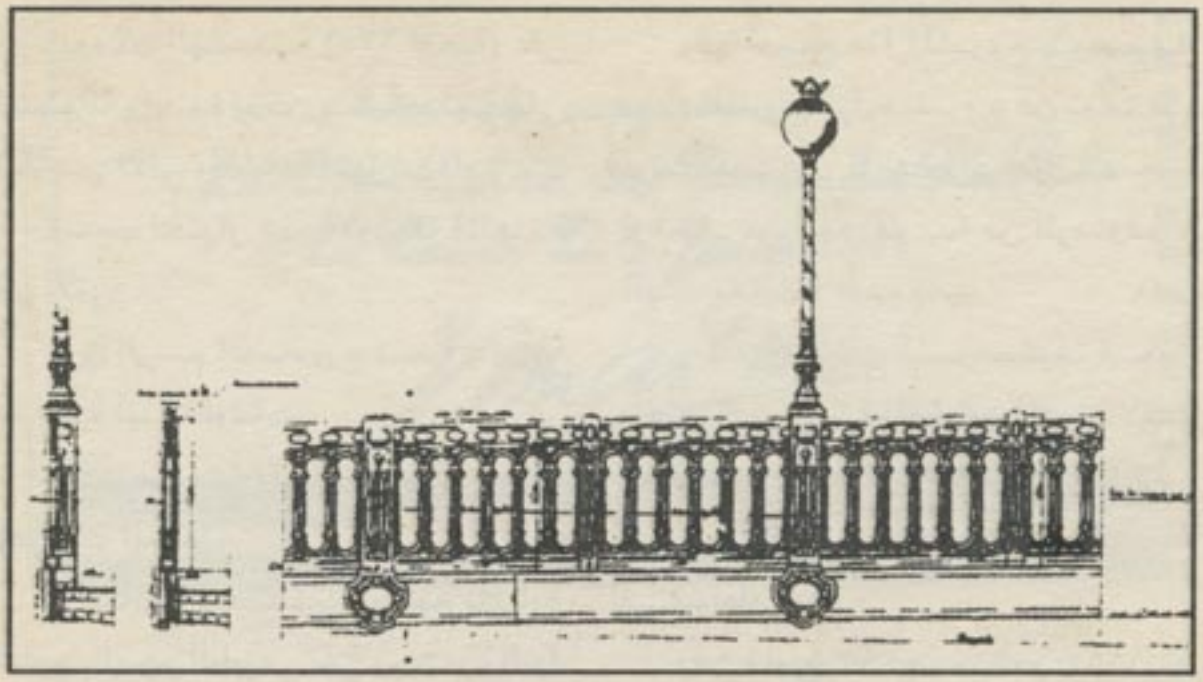

تفاصيل لسور كوبرى الجزيرة

عموده اليومى بتاريخ ٩٨/٨/١٨ كما قام بحث وتشجيع شركة المقاولون على اقتناء الأرشيف بأى ثمن، كما أنه قام فى الوقت نفسه من ناحيته باستكمال البحث فى الموضوع عن طريق اقتناء كتب عن حياة جوستاف إيفيل والتى استدل منها على أنه توفى على سريره ولم ينتحر وأنه لم تكن له أى صلة بمصر مع العلم بأن أعماله الهندسية مذكورة بالتفاصيل فى هذه الكتب، والأستاذ/ أنيس منصور يرى أن الخلط جاء من التشابه الكبير بين اسم الشركة فيف ـ ليل واسم المهندس ايفيل.

ثم قام مرة أخرى بنشر خطابى الموجه له بتاريخ ٩٧/١٢/٢٦ بعد انتهاء المشروع وتسليمه إلى شركة المقاولون العرب.

وأثناء وجودى بمصر لمرافقة السيد فيدريكو مايور مدير عام اليونسكو فى افتتاح متحف النوبة بصفتى مندوب مصر الدائم لدى منظمة اليونسكو انتهزت هذه الفرصة وقمت بتاريخ ٩٧/١١/٢٩ بلقاء السيد المهندس عادل أيوب النائب الأول لرئيس مجلس إدارة شركة المقاولون العرب والمهندس إبراهيم محلب نائب رئيس مجلس الإدارة وعدد من أعضاء الشركة حيث قمت بتسليمهم الأرشيف بالكامل مع عرض لمقتطفات منه على الحاسب الآلى وتم ذلك فى احتفال متواضع وتكلمنا أثناء اللقاء عن حلمنا بأن يصبح ذلك الأرشيف نواة لذاكرة مصر الهندسية وأن يقام على جانبه

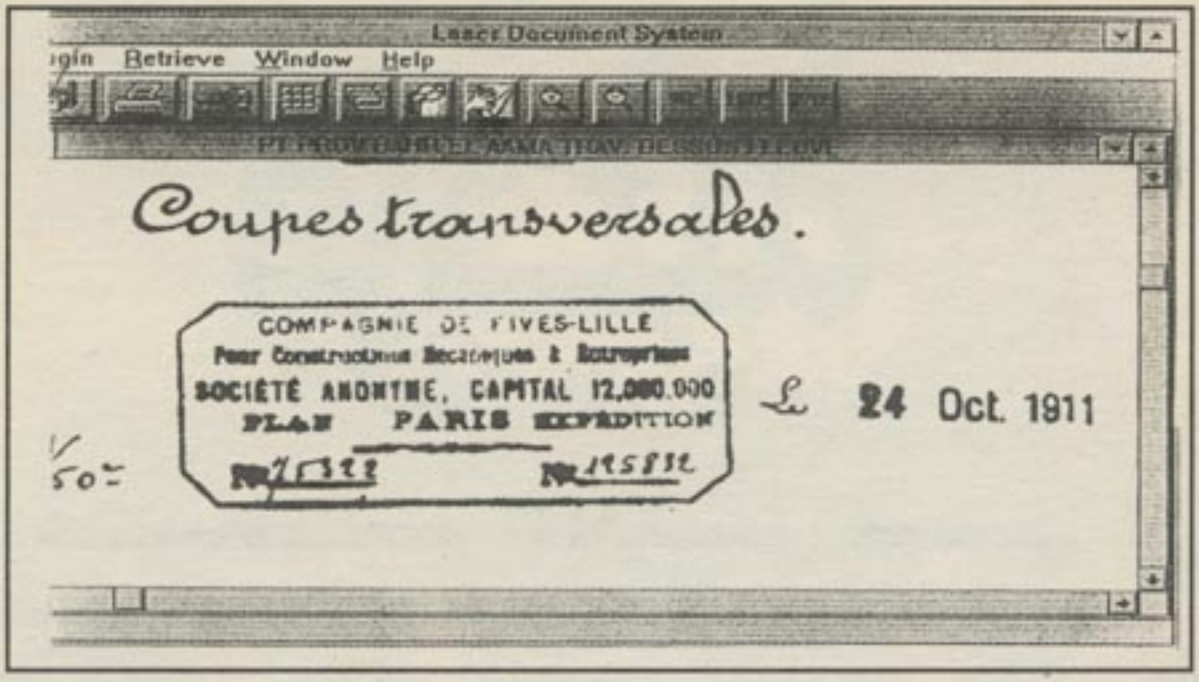

صورة من ختم شركة فيف - ليل - المنفذة لكوبرى أبو العلا

مؤتمرات وندوات للتوعية بمحتوياته.

الدروس المستفادة:

الدرس المستفاد من ذلك أن يثار يوم ما سؤال فى مصر على كل المستويات (هل الذى بنى كوبرى أبوالعلا المهندس إيفيل أم لا) ولانجد فى البلد صاحب هذا الكوبرى أى مستند يجيب عن هذا السؤال ثم نجد فى البلد الصانعة وفى شركة انتهت وقفلت أبوابها منذ خمسين عاما ولكن أرشيفها الهندسى يتم الاحتفاظ به فى الأرشيفات العامة للدولة حتى يأتى فريق عمل من مصر بعد حوالى ٨٠ سنة ليطلع على هذا الأرشيف ويتحقق عن طريقه من معلومة، ويستطيع أن يجيب عن السؤال الحائر (هل قام المهندس إيفيل ببناء الكوبرى أم لا وهل انتحر عندما فشل فى تشغيله) والإجابة:

أولا: لا ـ ليس هناك علاقة بين إيفيل وهذا الكوبرى.

ثانيا: إن الذى صمم هذا الكوبرى شركة تدعى فيف ـ ليل.

ثالثا: إن الذى صمم الجزء المتحرك من الكوبرى (بتكليف من شركة فيف ـ ليل) هى شركة شرزر الأمريكية ومقرها فى شيكاغو.

وربما يكون فى هذا الحدث مغزى لايقاذ ضميرنا فى اتجاه الحفاظ على ذاكرتنا بصفة عامة وذاكرتنا الهندسية بصفة خاصة.